لينين ومسألة التحالف مع الفلاح المتوسط[1]

رد على الرفيق س.

بقلم: جوزيف ستالين[2]

مكتبة الشيوعيين العرب

https://sites.google.com/site/arcommunistslibrary

نسخه للإنترنت الصوت الشيوعي

http://sites.google.com/site/communistvoice

communistvoice@disroot.org

---

1 - يظهر هذا المقال مع حذف بعض مقاطع. ج. س

2 - المصدر: جوزيف ستالين، كراس "الماركسية والمسألة الفلاحية"، الطبعة العربية، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة الاولى، نيسان (ابريل) 1974، ترجمة جورج طرابيشي، ص.ص. 46 – 64.

الرفيق س،

ليس صحيحا ان شعار لينين: «فلنعرف كيف نتوصل الى تفاهم مع الفلاح المتوسط، من دون أن ننكص دقيقة واحدة عن النضال ضد الكولاك، وبالاستناد بكامل الثقل الى الفلاحين الفقراء وحدهم»، **ليس صحيحا** أن هذا الشعار الذي صاغه في مقاله المعروف عن بيتيريم سوروكين[3]، هو شعار «مرحلة لجان الفلاحين الفقراء»، شعار «نهاية المرحلة المسماة بمرحلة تحييد الفلاحين المتوسطين». **هذا غير صحيح بتاتا.** فلجان الفلاحين الفقراء تشكلت في حزيران 1918. وفي نهاية تشرين الاول 1918 كانت قوانا في الريف قد تغلبت على الكولاك، وكان الفلاح المتوسط في سبيله الى **الانعطاف** باتجاه سلطة السوفييتات. وهذا الانعطاف هو الذي أتاح الفرصة لقرار اللجنة المركزية الرامي الى الغاء ثنائية السلطة بين السوفييتات ولجان الفلاحين الفقراء، والى اجراء انتخابات جديدة لسوفييتات المناطق والقرى، والى امتصاص السوفييتات المعاد انتخابها للجان الفلاحين الفقراء، وبالتالي الى تصفية هذه اللجان. لقد تبنت السوفييتات رسميا هذا القرار في 9 تشرين الثاني 1918، في مؤتمرها السادس، كما هو معروف، أعني قرار المؤتمر السادس للسوفييتات في 9 تشرين الثاني 1918 عن الانتخابات الجديدة لسوفييتات القرى والمناطق، وامتصاص السوفييتات للجان الفلاحين الفقراء. والحال، متى ظهر مقال لينين: «اعتراف بيتيريم سوروكين الثمين»، الذي يرفع فيه شعار التحالف مع الفلاح المتوسط بدلا من شعار تحييد الفلاح المتوسط؟ لقد ظهر في 21 تشرين الثاني 1918، أي **بعد** زهاء اسبوعين من اتخاذ مؤتمر السوفييتات السادس قراره ذاك. في هذا المقال يصرح لينين بوضوح ان سياسة التفاهم مع الفلاح المتوسط يمليها **انعطاف** هذا الاخير باتجاهنا. اليك ما يقوله لينين:

«ان مهمتنا في الريف هي القضاء على الملاك الكبير، وتحطيم مقاومة المستغِل والكولاك المحتكر. ويسعنا، في سبيل تحقيق ذلك، أن نعتمد راسخ الاعتماد على

---

3 - لينين: «اعتراف بيتيريم سوروكين الثمين». - المترجم -

أشباه البروليتاريين **وحدهم**، على «الفلاحين الفقراء». لكن ليس الفلاح المتوسط عدونا. لقد تردد، ويتردد، وسوف يتردد، ومهمة التأثير على المترددين **ليست هي نفس** المهمة الرامية الى الاطاحة بالمستَغِل والى الانتصار على العدو الفعال. أن نعرف كيف نتوصل الى تفاهم مع الفلاح المتوسط، من دون ان ننكص دقيقة واحدة عن النضال ضد الكولاك، وبالاستناد بكامل الثقل الى الفلاحين الفقراء وحدهم: هذه هي مهمة الساعة الراهنة، لانه في يومنا هذا على وجه التحديد، وللاسباب المبينة اعلاه، يمسي **الانعطاف باتجاهنا في أوساط الفلاحين الفقراء امرا محتوما**[4]» (المجلد 23، ص 294، الطبعة الروسية).

ماذا ينجم عن ذلك؟

ينجم عن ذلك ان شعار لينين لا يرجع الى المرحلة **القديمة**، مرحلة لجان الفلاحين الفقراء وتحييد الفلاح المتوسط، بل الى المرحلة **الجديدة**، **مرحلة التفاهم مع الفلاح المتوسط**. وهو بذلك يشير لا الى **نهاية** المرحلة القديمة، بل الى **بداية** المرحلة الجديدة.

لكن توكيدك بصدد شعار لينين خاطىء، لا من وجهة النظر الشكلية فحسب، من الزاوية التأريخية اذا جاز التعبير، بل أيضا في مضمونه بالذات. معروف ان شعار لينين عن التفاهم مع الفلاح المتوسط قد شهره الحزب بأسره شعارا جديدا له في المؤتمر الثامن لحزبنا (آذار 1919). ومعروف أن المؤتمر الثامن للحزب كان على وجه التحديد المؤتمر الذي أرسى أسس سياستنا في التحالف المتين مع الفلاح المتوسط. ومعروف ان برنامجنا، برنامج الحزب الشيوعي (البلشفي) لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية، قد أقِر ايضا من قبل المؤتمر الثامن لحزبنا. ومعروف أن هذا البرنامج يتضمن بنودا خاصة بصدد موقف الحزب من مختلف الفئات في الريف: الفلاحين الفقراء، الفلاحين المتوسطين، الكولاك. ماذا نقرأ في الفقرات التالية من برنامج الحزب الشيوعي (البلشفي) لاتحاد الجمهوريات

---

4 - التسويد مني انا. ج. س.

السوفياتية الاشتراكية عن الفئات الاجتماعية في الريف وعن موقف الحزب منها؟ اسمع:

«ان الحزب الشيوعي الروسي **يعتمد**، في كل نشاطه في الريف، كما في الماضي، **على الفئات البروليتارية وشبه البروليتارية في الريف**؛ فهذه الفئات هي التي ينظمها، بادىء ذي بدء، في قوة مستقلة بانشائه في الريف خلايا للحزب، منظمات للفلاحين الفقراء، نمطا خاصا من نقابات البروليتاريين وأشباه البروليتاريين الريفيين، الخ، وبتقريبه الشقة بمختلف الوسائل بينها وبين البروليتاريا المدينية، بسلخه اياها عن تأثير البورجوازية الريفية ومصالح الملكية الصغيرة.

«ان سياسة الحزب الشيوعي الروسي، تجاه الكولاك والبورجوازية الريفية، تتمثل في **النضال الحازم ضد تذبذبهم كمستَغِلين وتحطيم مقاومتهم للسياسة السوفياتية.**

«أما تجاه الفلاحين المتوسطين فتتمثل سياسة الحزب الشيوعي الروسي في جرهم، تدريجيا وبصورة منهجية، الى العمل البنائي الاشتراكي. ان الحزب يوكل الى نفسه مهمة فصلهم عن الكولاك، واستمالتهم الى جانب الطبقة العاملة، بما يبديه من اهتمام بمصالحهم، وبمقاومته حالتهم المتأخرة بعمل أيديولوجي وليس بحال من الاحوال بتدابير قمعية، وببذله قصارى جهده، في كل مرة تكون فيها مصالحه الحيوية عرضة للخطر، للوصول الى **تفاهمات عملية معهم**، وبتقديمه تنازلات لهم عند تحديد وسائل تحقيق التحولات الاشتراكية[5]». («المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) الروسي»، التقرير المختزل، ص 396، الطبعة الروسية).

حاول اذن أن تجد فرقا، مهما يكن طفيفا، ولو في الالفاظ، بين هذه المقاطع من البرنامج وبين شعار لينين! انك لن تجده، لأنه ليس له وجود في الواقع. بل اكثر من ذلك. فمما لا يتطرق اليه شك أن شعار لينين لا يناقض قرارات المؤتمر الثامن عن الفلاحين المتوسطين، بل يمثل على العكس أدق صيغة واكثرها توفيقا في هذه القرارات. والحال ان من الوقائع الثابتة ان برنامج الحزب الشيوعي (البلشفي)

---

5 - التسويد مني انا. ج. س.

لاتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية قد أقر في آذار 1919، في المؤتمر الثامن للحزب الذي ناقش بوجه خاص مسألة الفلاحين المتوسطين، بينما كان مقال لينين ضد بيتيريم سوروكين، الذي دعا فيه الى تفاهم مع الفلاح المتوسط، قد ظهر في تشرين الثاني 1918، قبل شهور اربعة من المؤتمر الثامن للحزب.

أليس واضحا ان مؤتمر الحزب الثامن قد **أيد مطلق التأييد وبلا تحفظ** شعار لينين، الذي كان قد شهره في مقاله ضد بيتيريم سوروكين، بصفته شعارا يتوجب على الحزب أن **يستلهمه** في نشاطه في الريف **طوال المرحلة الراهنة من البناء الاشتراكي؟**

أين تكمن قيمة شعار لينين؟

تكمن قيمة شعار لينين في انه يستوعب باحكام جدير بالاعجاب مهمة الحزب **المثلثة، غير القابلة للقسمة،** في الارياف، ويعبر عنها في صيغة واحدة مقتضبة: أ– **استند** الى الفلاح الفقير، ب– نظم **التفاهم** مع الفلاح المتوسط؛ ج– لا توقف لدقيقة واحدة **النضال** ضد الكولاك. حاول اذن ان تأخذ من هذه الصيغة واحدا من العناصر التي تتكون منها لتجعل منه اساس العمل في الريف، في الساعة الراهنة، متناسيا العناصر الاخرى، فستجد نفسك محصورا لا محالة في طريق مسدود. أمن الممكن، بالنظر الى المرحلة الراهنة من البناء الاشتراكي، تنظيم تفاهم فعلي ومتين مع الفلاح المتوسط، من دون الاعتماد على الفلاحين الفقراء ومن دون شن النضال ضد الكولاك؟ كلا. أمن الممكن، بالنظر الى التطور الراهن، شن نضال مظفر ضد الكولاك، من دون الاعتماد على الفلاحين الفقراء ومن دون تفاهم مع الفلاح المتوسط؟ كلا. ما السبيل الى التعبير، بأدق صورة ممكنة، من خلال شعار معمم، عن تلك المهمة المثلثة، غير القابلة للقسمة، للحزب في الريف؟ أعتقد أن شعار لينين هو أدق تعبير عن هذه المهمة. لا بد من الاقرار بأنه ليس في المستطاع التعبير عن الامور خيرا مما فعل لينين ...

لماذا تدعو الضرورة الى التنويه بنفع شعار لينين في **المرحلة الراهنة على وجه التحديد، في الشروط الحالية** للعمل في الريف **على وجه التحديد؟**

على وجه التحديد لاننا نلاحظ في الساعة الراهنة ظهور ميل لدى بعض من رفاقنا الى تمزيق المهمة **المثلثة وغير القابلة للقسمة** للحزب في الريف اربا اربا، والى فصل هذه الآراب بعضها عن بعض. لقد تأكد ذلك تماما في نهجنا في حملة تخزين القمح في كانون الثاني وشباط الماضيين. فأن يكون التوصل الى تفاهم مع الفلاح المتوسط امرا واجبا، فهذا ما يعلمه البلاشفة جميعا. لكن كيف التوصل الى هذا التفاهم؟ هذا ما لا يفهمه جميع الناس. فبعضهم يرى ان طريق الوصول الى تفاهم مع الفلاح المتوسط هو النكوص عن النضال ضد الكولاك او تخفيف هذا النضال: فالنضال ضد الكولاك قد يفزع، على ما يقولون، شطرا – الشطر الميسور – من الفلاحين المتوسطين. ويرى بعضهم الآخر ان طريق الوصول الى تفاهم مع الفلاح المتوسط هو العزوف عن عمل تنظيم الفلاحين الفقراء أو تخفيف هذا العمل: فتنظيم الفلاحين الفقراء يؤدي، على ما يقولون، الى انعزالهم، والحال أن الانعزال قد يجعلنا نخسر الفلاحين المتوسطين. ونتيجة جميع هذه الانحرافات عن الخط الصحيح هي نسيان الاطروحة الماركسية التي تنص على أن الفلاح المتوسط طبقة مترددة؛ وأن التفاهم مع الفلاح المتوسط لا يمكن ان يكون متينا الا بشرط خوض نضال حاسم ضد الكولاك وتشديد وتيرة النشاط في صفوف الفلاحين الفقراء؛ وان الفلاح المتوسط يمكن، بدون هذه الشروط، أن يحيد نحو الكولاك، منجذبا اليه انجذابه الى قوة. تذكر كلمات لينين التي نطق بها في المؤتمر الثامن للحزب:

«من الضروري تحديد موقفنا تجاه الطبقة **التي ليس لها وضع ثابت، محدد**[6]. ان البروليتاريا في جمهرتها تناصر الاشتراكية، والبرجوازية في جمهرتها تناوىء الاشتراكية – ومن الميسور تحديد العلاقات بين هاتين الطبقتين. لكن حين ننتقل الى زمرة اخرى كالفلاحين المتوسطين نجد أنهم **طبقة تتردد**. فهم جزئيا ملاك، وجزئيا شغيلة. وهم لا يستغلون الشغيلة الآخرين. ولقد كان عليهم، طوال عشرات السنين، ان يذودوا عن وضعهم بمجهود فائق؛ فقد ذاقوا علقم استغلال كبار الملاك العقاريين والرأسماليين، وعانوا من كل شيء، وهم في الوقت نفسه ملاك. هكذا ينطوي موقفنا

6 - التسويد مني انا.   ج. س.

من هذه الطبقة المترددة على مصاعب كأداء» («المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) الروسي»، التقرير المختزل، ص 346، الطبعة الروسية).

لكن هناك ضروبا أخرى من الحيدان عن الخط الصحيح، لا تقل خطورة عن الاولى. فقد يحدث ان يُشن النضال ضد الكولاك، لكنه يُشن بطريقة خرقاء ولا معقولة الى درجة تنهال معها الضربات على الفلاح المتوسط وعلى الفلاح الفقير. والنتيجة: يبقى الكولاك سليما لم يمسه أذى، ويحدث صدع في التحالف مع الفلاح المتوسط، ويقع شطر من الفلاحين الفقراء، بصورة مؤقتة، بين مخالب الكولاك الذي يَشِن نضالا مداجيا ضد السياسة السوفياتية. قد يحدث أيضا أن تبذل المحاولات لتحويل النضال ضد الكولاك الى تجريد لهم من ملكيتهم، وتحويل عمل تخزين القمح الى اقتطاع للفوائض؛ وفي هذا تناس لحقيقة أن تجريد الكولاك من ملكيتهم، في شروطنا وظروفنا، شيء محال، ولحقيقة ان اقتطاع الفوائض لا يعني التحالف مع الفلاح المتوسط، وانما الصراع ضده.

ما مصدر هذه الانحرافات عن خط الحزب؟

مصدرها عدم تفهم حقيقة أن مهمة الحزب المثلثة في الريف **واحدة وغير قابلة للقسمة.** مصدرها عدم تفهم حقيقة **استحالة فصل** النضال ضد الكولاك عن التفاهم مع الفلاح المتوسط، واستحالة فصل هاتين المهمتين معا عن تحويل الفلاحين الفقراء الى سند ودعامة للحزب في الريف[7].

---

7 - ينجم عن ذلك ان الانحرافات عن الخط السليم تخلق خطرا مزدوجا يتهدد تحالف العمال والفلاحين: الخطر النابع عن اولئك الذين يريدون، على سبيل المثال، تحويل التدابير الاستثنائية المؤقتة المتعلقة بتخزين القمح الى اتجاه ثابت او دائم لسياسة الحزب والخطر النابع عن اولئك الذين يزمعون استخدام الغاء التدابير الاستثنائية لاطلاق يد الكولاك، ولاشهار حرية التجارة كاملة، من دون ان يكون لاجهزة الدولة دخل في تنظيم التجارة. وعليه، تقضي الضرورة بخوض النضال على جبهتين اثنتين لضمان خط صحيح.

انني انتهز المناسبة لاشير الى ان صحافتنا لا تقيد على الدوام بهذه القاعدة، فتدلل احيانا على روح احادية الجانب الى حد ما. قد يحدث، على سبيل المثال، ان تشهِّر بأولئك الذين يسعون الى تحويل التدابير الاستثنائية المتعلقة بتخزين القمح – وهي تدابير ذات طابع مؤقت – الى اتجاه دائم لسياستنا، مسلطين بذلك سيف التهديد على تحالف العمال والفلاحين. هذا شيء حسن. لكن ما هو خاطىء وسيء هو عندما لا تعير ما فيه الكفاية من الاهتمام، بالتوازي مع ذلك، ⟵

ماذا ينبغي أن نفعل حتى لا تنفصل هذه المهام بعضها عن بعض خلال عملنا اليومي في الريف؟

ينبغي على الاقل أن نرفع شعارا هاديا قمينا بجمع هذه المهام في صيغة عامة واحدة، وبالحيلولة، بالتالي، دون انفصال هذه المهام بعضها عن بعض.

هل تشتمل ترسانة حزبنا على مثل هذه الصيغة، على مثل هذا الشعار؟

بلى. هذه الصيغة هي شعار لينين: «ان نعرف كيف نتوصل الى تفاهم مع الفلاح المتوسط، من دون أن ننكص دقيقة واحدة عن النضال ضد الكولاك، وبالاستناد بكامل الثقل الى الفلاحين الفقراء وحدهم».

لهذا السبب أعتقد أن هذا الشعار هو اكثر الشعارات عقلانية وعمومية، وأنه ينبغي أن يحتل مكانة الصدارة، **على وجه التحديد اليوم، على وجه التحديد في الشروط الراهنة** لعملنا في الريف.

انك تعدّ شعار لينين شعار «معارضة»، وتسأل في رسالتك: **كيف حدث أن ... شعار المعارضة هذا نشر لمناسبة الاول من أيار 1928 في «البرافدا»؟ ... كيف السبيل الى تفسير ظهور هذا الشعار في أعمدة «البرافدا»، لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية؟ أهو مجرد غلط مطبعي أم تسوية مع المعارضة بصدد مسألة الفلاح المتوسط؟** الا ترى

←لاولئك الذين يهددون هذا التحالف من جانب آخر، فلا تشهِّر بهم كما ينبغي. وعندما لا تشهِّر بأولئك الذين يطمئنون الى القوة البورجوازية الصغيرة البدائية ويرخون لها العنان، ويطالبون بتخفيف حدة النضال ضد العناصر الرأسمالية في الريف وباعادة حرية التجارة كاملة، من دون ان يكون للدولة في هذا المضمار دور ناظم. وبذلك يلغمون أسس تحالف العمال والفلاحين، من طرف آخر. ان الامر هذه المرة سيء. انها الروح الاحادية الجانب.

قد يحدث ايضا ان تشهِّر بأولئك الذين ينفون، على سبيل المثال، امكانية وفائدة انعاش المستثمرات الفلاحية الفردية الصغيرة والمتوسطة التي تؤلف في المرحلة الراهنة قاعدة الاقتصاد الريفي. هذا حسن للغاية. لكن ما هو سيء وخاطىء هو عندما لا تشهِّر، بالتوازي مع ذلك، بأولئك الذين يقللون من اهمية الكولخوزات والسوفخوزات ولا يرون ان انعاش المستثمرات الفلاحية الفردية، الصغيرة والمتوسطة، يجب ان يتمم ويكمل عمليا بتنشيط بناء الكولخوزات والسوفخوزات.

ان الضرورة تقضي، ضمانا لخط صحيح، بالنضال **على جبهتين** وبنبذ كل روح احادية الجانب.

أنك تغالي وتشتط**!** ألا يجدر بك أن تتناول الامور بشيء من الهدوء والاعتدال، يا رفيق س، خوفا من أن يقودك اندفاعك الى الاقتناع بضرورة **تحضير** نشر برنامجنا الذي يؤيد تمام التأييد شعار لينين (هذه حقيقة واقعة**!**)، الشعار الذي صاغه في جوهره لينين (لا أحد المعارضين**!**)، وأقره المؤتمر الثامن للحزب (وليس المعارضة**!**). ألا مزيدا، ولو طفيفا، من الاحترام لبعض نقاط برنامجنا حول الفئات الاجتماعية في الريف**!** ألا مزيدا، ولو طفيفا، من الاحترام لمقررات مؤتمر الحزب الثامن عن الفلاحين المتوسطين**!** ... أما عن جملتك بصدد «التسوية مع المعارضة بصدد مسألة الفلاح المتوسط»، فأعتقد أنها لا تستأهل مشقة تفنيدها، فلا ريب في انك تركتها تفلت منك تحت تأثير اللحظة الآنية.

ان ثمة ظرفا يبدو أنه يثير حيرتك وبلبلتك وهو أن شعار لينين وبرنامج الحزب الشيوعي (البلشفي) في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، الذي أقره المؤتمر الثامن، يتحدثان عن **تفاهم** مع الفلاح المتوسط، في حين يتكلم لينين، في الخطاب الذي ألقاه عند افتتاح المؤتمر الثامن، عن **تحالف متين** مع الفلاح المتوسط. أنت ترى في ذلك على ما يبدو شيئا يشبه التناقض. بل لعلك تميل الى الافتراض أن سياسة **التفاهم** مع الفلاح المتوسط هي، الى حد ما، نكوص عن سياسة **التحالف** مع هذا الاخير. هذا غير صحيح، يا رفيق س. هذا ضلال عظيم. ولا يسع احدا أن يفكر على هذا النحو سوى الناس الذين لا يرون غير حرفية الشعار من دون قدرة على النفاذ الى معناه. لا يسع احدا أن يفكر على هذا النحو سوى الناس الذين لا يعرفون تاريخ شعار التحالف والتفاهم مع الفلاح المتوسط. لا يسع أحدا أن يفكر على هذا النحو سوى الناس القادرين على الافتراض ان لينين، الذي أعلن في خطابه الافتتاحي امام المؤتمر الثامن سياسة «التحالف المتين» مع الفلاح المتوسط، قد **حاد بنفسه** عن نفسه، حين صرح في خطاب آخر، ألقاه في ذلك المؤتمر عينه، وفي برنامج الحزب الذي أقره المؤتمر الثامن، اننا بحاجة الآن الى سياسة «تفاهم» مع الفلاح المتوسط.

كيف نفسر ذلك؟ الحقيقة ان لينين والحزب، في شخص المؤتمر الثامن، لا يريان **من فارق البتة** بين مفهوم «التفاهم» ومفهوم «التحالف». الحقيقة ان لينين يضع **اشارة مساواة** بين مفهوم «التحالف» ومفهوم «التفاهم» في جميع خطاباته التي القاها في المؤتمر الثامن. ومن الممكن ان نقول الشيء نفسه عن قرار المؤتمر الثامن: «حول الموقف من الفلاحين المتوسطين»، الذي يضع **اشارة المساواة** بين مفهوم «التفاهم» ومفهوم «التحالف». والحال انه ما دام لينين والحزب لا يعدان سياسة التفاهم مع الفلاح المتوسط سياسة طارئة وعارضة، وانما سياسة **ثابتة،** فقد كان من مطلق حقهما وما يزال ان يسميا سياسة التفاهم مع الفلاح المتوسط سياسة التحالف المتين معه، وأن يسميا بالعكس سياسة التحالف المتين مع الفلاح المتوسط سياسة تفاهم معه. يكفي، حتى نقتنع بذلك، ان نراجع التقرير الاختزالي لمؤتمر الحزب الثامن والقرار الذي اقره هذا المؤتمر نفسه بصدد الفلاح المتوسط.

اليك مقطعا من الخطاب الذي القاه لينين في المؤتمر الثامن:

«غالبا ما كانت الضربات المسددة الى الكولاك تنهال على الفلاحين المتوسطين بحكم انعدام خبرة الموظفين السوفياتيين، وبحكم المصاعب التي تنطوي عليها المشكلة. والخبرة التي اكتسبناها في هذا المجال ستساعدنا على ان نفعل كل ما ينبغي فعله لتجنب ذلك وتحاشيه في المستقبل. هذه هي المهمة المطروحة علينا، عمليا لا نظريا. انتم تعلمون حق العلم ان هذه المهمة صعبة. فنحن لا نملك سلعا يسعنا ان نقدمها للفلاح المتوسط؛ والحال ان هذا الاخير مادي النزعة، عملي، يطالب بسلع مادية عينية، لا تتوفر لنا المقدرة على تقديمها اليه اليوم، وقد يتوجب على البلاد ان تستغني عنها على امتداد اشهر طويلة من الصراع المسعور، الصراع الذي يحمل الينا من الآن بشرى الانتصار الكامل. لكن في مستطاعنا ان نفعل الشيء الكثير في ممارستنا الادارية: فنحسِّن جهازنا، ونقوّم حالات لا تحصى من اساءة الاستعمال. ان خط حزبنا، الخط الذي ما كان يتجه بما فيه الكفاية **نحو التكتل، نحو التحالف، نحو التفاهم**[8] مع الفلاحين المتوسطين، هذا الخط نستطيع

---

8 - التسويد مني انا.   ج. س.

ويتوجب علينا ان نصححه، ان نقوّمه» (المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي "البلشفي" الروسي، تقرير اختزالي، ص 24 – 25، الطبعة الروسية).

انت ترى ان لينين لا يفرق بين «التفاهم» و«التحالف».

وإليك هذه المقاطع المأخوذة من قرار المؤتمر الثامن «حول الموقف من الفلاحين المتوسطين»:

«ان الخلط بين الفلاحين المتوسطين وبين الكولاك، وتطبيق الاجراءات المتخذة ضد الكولاك على الفلاحين المتوسطين، بقدر او بآخر، يعنيان انتهاكا فظا لا لجميع مراسيم سلطة السوفييتات وسياستها كلها فحسب، بل ايضا لجميع مبادىء الشيوعية الاساسية التي تدعو الى **تفاهم** البروليتاريا مع الفلاحين المتوسطين في مرحلة نضال البروليتاريا الحاسم في سبيل الاطاحة بالبورجوازية، كواحد من الشروط الضرورية للانتقال على نحو غير موجع الى الغاء كل استغلال.

«ان الفلاحين المتوسطين، الذين لهم جذورهم الاقتصادية المتينة نسبيا بحكم تخلف التقنية الزراعية عن تقنية الصناعة حتى في الاقطار الرأسمالية المتقدمة، وهذا من دون ان نتكلم عن روسيا، ان هؤلاء الفلاحين المتوسطين سيبقون على قيد الوجود لفترة طويلة بما فيه الكفاية من الزمن بعد بداية الثورة البروليتارية. وعليه، يتوجب على تكتيك الموظفين السوفياتيين في الريف، مثله في ذلك مثل تكتيك المناضلين الحزبيين، ان يُرسَم على اساس **مرحلة طويلة من التعاون** مع الفلاحين المتوسطين ...

«... ان السياسة الصحيحة مطلق الصحة لسلطة السوفييتات في الريف تضمن على هذا النحو **تحالف** البروليتاريا المنتصرة **وتفاهمها** مع الفلاحين المتوسطين ...

«... يتوجب على سياسة الحكومة العمالية والفلاحية والحزب الشيوعي ان تستمر في استلهامها عين **روح التفاهم** بين البروليتاريا والفلاحين الفقراء وبين الفلاحين المتوسطين»[9] (المصدر نفسه، ص 417 – 420).

لا يميز القرار هو الآخر، كما ترى، بين «التفاهم» و«التحالف».

---

9 - تسويد المقاطع مني انا. ج. س.

ولن يكون من غير المجدي ان نلاحظ ان قرار المؤتمر الثامن هذا لا يتضمن كلمة واحدة عن «التحالف المتين» مع الفلاح المتوسط. لكن هل يعني ذلك ان هذا القرار **يحيِّد**، من هنا بالذات، عن سياسة «التحالف المتين» مع الفلاح المتوسط؟ كلا. ذلك يعني فقط ان القرار يضع اشارة مساواة بين مفهومي «التفاهم» و«التعاون» ومفهوم «التحالف المتين». وهذا منطقي ومفهوم على كل حال: فلن تقوم قائمة لـ «التحالف» مع الفلاح المتوسط من دون ان يكون هناك «تفاهم» معه؛ كما ان التحالف مع الفلاح المتوسط لن يكون «متينا» اذ لم يكن هناك تفاهم «ثابت» وتعاون معه.

تلك هي الوقائع.

والامر امر من اثنين: **اما** ان لينين والمؤتمر الثامن **حادا** عن التصريح اللينيني عن «التحالف المتين» مع الفلاح المتوسط، **واما** ان الضرورة تقضي بنبذ هذا الافتراض البعيد عن ان يكون جديا، وبالاقرار بأن لينين والمؤتمر الثامن للحزب لا يميزان **البتة** بين مفهوم «التفاهم» ومفهوم «التحالف المتين».

وعلية، لا يمكن لمن يريد ان لا يقع ضحية مماحكة فارغة، ولمن يريد ان يستوعب معنى شعار لينين الداعي الى الاستناد الى الفلاح الفقير، والى التفاهم مع الفلاح المتوسط، والى النضال ضد الكولاك، لا يمكن له الا ان يفهم ان سياسة **التفاهم** مع الفلاح المتوسط هي سياسة **التحالف المتين** معه.

ان خطأك يكمن في انك لم تفهم خداع المعارضة التدليسي، ووقعت في شرك تحريضها وإثارتها، وسقطت في الفخ الذي نصبه خصمك. يعلن محتالو المعارضة بضجة وإلحاح انهم مع شعار لينين عن التفاهم مع الفلاح المتوسط، ويلمحون في الوقت نفسه من طرف خفي، وعلى نحو استفزازي، الى ان «التفاهم» مع الفلاح المتوسط شيء و«التحالف المتين» معه شيء آخر. وهم يسعون بذلك الى اصابة عصفورين بحجر: اولا تمويه موقفهم الحقيقي من الفلاحين المتوسطين، وهو الموقف الذي يترتب عليه لا التفاهم مع الفلاح المتوسط وانما «الاختلاف مع الفلاح المتوسط» (انظر الخطاب المعروف للمعارض سميرنوف، الذي اتيت بذكره في

المشار السادس عشر لمنطقة موسكو للحزب الشيوعي)؛ وثانيا اجتذاب السذج من بين البلاشفة بطُعم التباين **المزعوم** بين «التفاهم» و«التحالف»، وتشويش عقولهم بصورة نهائية، ودفعهم بعيدا عن لينين.

وما رد فعل بعض رفاقنا على ذلك؟ بدلا من ان ينزعوا القناع عن محتالي المعارضة، وبدلا من ان يدمغوهم بالغش والتحايل تجاه الحزب فيما يتعلق بموقفهم الحقيقي، بدلا من ذلك نجدهم يعلقون في الفخ، ويقعون في الشرك، ولا يحركون ساكنا لرد من يدفع بهم بعيدا عن لينين. ان المعارضة تثير الضجة حول شعار لينين؛ ويتظاهر المعارضون بأنهم أنصار الشعار اللينيني – اذن عليَّ ان أتبرأ من هذا الشعار، حتى لا اختلط بالمعارضة، وإلا فقد تُوَجَّه اليَّ تهمة «التسوية مع المعارضة». هذا هو منطق أولئك الرفاق.

ليس هذا هو المثال الاوحد على أساليب المعارضة الاحتيالية. خذ، على سبيل المثال، شعار النقد الذاتي. لا يسع احدا من البلاشفة ان يجهل ان شعار النقد الذاتي هو قاعدة نشاط حزبنا، ووسيلة تعزيز الدكتاتورية البروليتارية، وروح النهج البلشفي في تربية الكوادر. بيد ان المعارضة تعلن بالصياح والزعيق انها هي التي ابتكرت شعار النقد الذاتي، وأن الحزب قد اخذ عنها هذا الشعار، وأنه بالتالي استسلم لها. وتريد المعارضة، بمسلكها هذا، الوصول الى شيئين اثنين على الاقل: ان تَخدَع اولا الطبقة العاملة وأن تحجب عن أنظارها الهوة القائمة بين نقد المعارضة الذاتي الرامي الى **تدمير** روح الحزب وبين النقد البلشفي الذي ليس له من مرمى سوى **تعزيز** روح الحزب؛ ثانيا، ان توقع في شراكها بعض السذج وان ترغمهم على التبرؤ من شعار الحزب المتعلق بالنقد الذاتي.

والحال ما رد فعل بعض رفاقنا على ذلك؟ بدلا من ان ينزعوا القناع عن محتالي المعارضة وان يدافعوا عن شعار النقد الذاتي البلشفي، نجدهم يسقطون في الشراك، ويحيدون عن شعار النقد الذاتي، ويسيرون في ركاب المعارضة و... يستسلمون أمامها، في الوقت الذي يحسبون فيه خطأ انهم يتبرؤون من المعارضة.

في مستطاعنا مضاعفة الامثلة الى ما لا نهاية.

لكننا لا نستطيع، في عملنا، ان نسير في ركاب كائن من كان. ولا نستطيع، كم بالاولى، ان نسترشد في عملنا بما يقوله عنا رجال المعارضة. واجبنا يقضي بأن نسير في طريقنا، فننبذ ونرد مناورات المعارضة الاحتيالية وأخطاء بعض بلاشفتنا الذين يقعون في فخ تحريض رجال المعارضة. نذكر الكلمات التي كان يتمثل بها ماركس: «سر في طريقك، ودع المتقولين وما يتقولون»!

12 حزيران 1928

«البرافدا»، العدد 152، 3 تموز 1928